**تساؤلات جديدة في زمن "المخاطر الكبرى"**

**في كيفية إدارة "المُشترك" الإنساني**

**عايدة بنكريّم**[[1]](#footnote-1)(\*)

باحثة من تونس.

**ملخص**: يتحدّد موضوع هذه الورقة في مناقشة مسألة الإدارة الجماعية لـ"المشترك" الإنساني في زمن المخاطر الكبرى. وهو يُثير، بشكل غير مباشر، أسئلة حول الفعل النضالي لعلم الاجتماع في مواجهة التحديات البيئية والمناخية في زمن العولمة والنيولبرالية، انطلاقا من قراءة لكتاب عادل سالمي حول تطوّر العلاقة بين الطبيعة والإنسان ومراحل تشكّل أيديولوجيا "المحمية" في فرنسا ومستعمراتها. وقد تناول الكاتب، وهو باحث في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، هذا الموضوع من ثلاث زوايا مختلفة: زاوية تاريخية وزاوية أنثروبولوجية وزاوية علم الطبيعة. ويتضح من نتائج تحليل المعطيات الميدانية للباحث أنّ عملية إدارة "الفضاء الطبيعي"، يتشابك فيها المعرفي والثقافي والاقتصادي والسياسي. فقد تجلّى، من خلال دراسة مختلف مراحل تأسيس حديقة "الفانواز" بفرنسا، أنّ تنوع الفاعلين وتعدّد رهاناتهم، والتنافس بين مشاريعهم التي قد تتحوّل أحيانا إلى تنازع قوّة، حالت دون التوصّل إلى توافق حول كيفية استغلال الفضاء الطبيعي وحمايته.

**كلمات مفتاحية**: المشترك، المحمية، الفضاء-الطبيعي، الأنثروبولوجيا، حديقة-الفانواز.

**Summary**: The topic of this paper is defined in a discussion of the modalities for Collective management of "common" in a time of major risks. It indirectly raises questions about the militant struggle of sociology within the contexts of globalization and neo-liberalism. Based on a reading of Adel Selmi book on the evolution of the relationship between nature and man and the stages of shaping the “protected” ideology in France and its colonies. The author, a researcher in sociology and anthropology, addressed this topic from three different angles: historical angle, anthropological angle, and an angle of naturalists. It is clear from the results of the field data analysis of the researcher that the process of managing "natural space" is intertwined with knowledge, culture, economics and politics. It was evident, through studying the various phases of the establishment of the "Vanoise Park" in France, that the diversity of actors and the multiplicity of their bets, and the competition between their projects that may sometimes turn into a power struggle, prevented reaching a consensus on how to exploit and protect natural space.

**Keywords:** Common, Protected, Natural-space, Anthropology, Vanoise Park.

أنطلق في هذه النصّ من قراءة لكتاب **إدارة الطبيعة** لعادل سالمي (Selmi, 2006)، حيث يطرح الكاتب أسئلة إيبيستمية وسوسيولوجية حارقة، حول علم إدارة "المُشترك الإنساني" في زمن المخاطر الكُبرى: كيف ننتقل بعلوم الاجتماع من مساءلة الظواهر الاجتماعية التي تتمحور حول الإنسان، فردًا كان أم جماعة، إلى دراسة التفاعلات الإدراكية والرمزية التي يبنيها الأفراد والجماعات مع الطبيعة وأشيائها، وتحليل الروابط التي ينسجونها حول تلك الأشياء؟ كيف نبني استراتيجيات محلية لإدارة الفضاءات الطبيعية والحفاظ على الثروات النباتية والبيئية من أجل تنمية إنسانية مُستدامة؟ كيف نحمي "المُشترك" الإنساني من فوضى مجتمع المخاطر العالمي، "فنحن نجلس جميعًا في منطقة مخاطر على مستوى العالم" (بيك، 2013: 7).

لا يفوتنا أن نشير في البداية، إلى أنّ عادل سالمي هو أنثربولوجي تونسي وباحث في المعهد القومي للبحوث الزراعية والبيئية بفرنسا INRA. تحصّل على شهادة الكفاءة في البحث في علم الاجتماع من جامعة تونس سنة 1991 (سالمي، 1991)، ونال الشهادة في الدراسات المُعمّقة سنة 1993 بالمدرسة العليا للدراسات في العلوم الاجتماعية EHESS بباريس (Selmi, 1993)؛ ناقش أطروحة دكتوراه في الأنثروبولوجيا الاجتماعية سنة 2004 تحت عنوان **الحديقة الوطنية الفانواز: إدارة الطبيعة والمعارف المرتبطة بالتنوّع البيولوجي** (Selmi, 2004). تتمحور أعماله حول الممارسات والمعارف والسياسات والمخاطر ذات العلاقة بحماية الطبيعة والحفاظ على المحيط والتنوّع الجيني النباتي والحيواني. وتتأطّر أبحاثه ضمن مشروع أبرز رموزه برينو لاتور[[2]](#footnote-2). ويتمحور هذا المشروع حول "سوسيولوجيا العلوم" وتحديدًا في موضوعات "أنظمة إنتاج العلوم والتقنيات ومسارات الابتكار". بدأ سالمي مسيرته العلمية مهتمًّا بإيبيستمولوجيا العلوم الاجتماعية ومكانتها في بناء آليات تطوير وحوكمة الممارسات البشرية وإدارة الطبيعة. ومنذ التحاقه رسميًّا بـINRA (فرنسا) توسّعت اهتماماته البحثية لتشمل تحليل أجهزة المعرفة والسلطة في رسم سياسات الانتقاء الجيني الحيواني (الخنزير والدواجن والبقر والأسماك)، والتحوّلات الناتجة منها - ذات العلاقة بالأحياء (بشر وغير البشر)، وقد نُشرت تلك الأطروحة عام 2006 عن دار نشر العلوم والإنسان الفرنسية.

**أولًا: في طرافة المبنى والمعنى**

الجديد في كتاب عادل سالمي، بالنسبة إلى علم الاجتماع العربي، هو موضوع البحث ومقاربة التفكير. فإضافة إلى أنّ سالمي يدرس ويحلل سوسيولوجيًّا مسارات بناء أيديولوجيا حماية الطبيعية في فرنسا ومستعمراتها من خلال دراسة ميدانية داخل الحديقة الوطنية الفانوازPNV[[3]](#footnote-3)؛ فهو يستعمل مُقاربة إثنوغرافية وسوسيو – تاريخية مُطعّمة بعلم الاجتماع المُقارن لتحليل المعارف المتنافسة حول مشاريع إدارة الفضاء الطبيعي. طريفة هي الأسئلة والأفكار التي يطرحها الكتاب، وكثيرة ومُتنوعة المناقشات الإيبيستمولوجية ذات العلاقة بقواعد المنهج العلمي الاجتماعي. فكثيرًا ما ينزع علماء الاجتماع إلى مساءلة الميدان مُستخدمين أساسًا من الفرضيات مسبقة البناء، في حين نجد عادل سالمي ينحو في اتجاه علماء الأجناس جاعلًا "الميدان يتكلّم بذاته"، وهو ما فتح أمامه آفاقًا تحليلية جديدة، فشملت الملاحظة الإثنوغرافية إلى جانب الفضاء الطبيعي وأشيائه أنشطة الفاعلين ومعارفهم، الأمر الذي مكّنه من تجاوز المعاني الظاهرة التي تكشف عنها أقوال الفاعلين ليتوصّل إلى استكشاف المعنى الكامن في العلاقات والتفاعلات التي تربط الفاعلين بأشياء الطبيعة، وتلك التي تربط بعضهم بالبعض الآخر فتنكشف حقيقة رؤيتهم للعالم.

من هنا، فإنّ قراءتنا لكتاب عادل سالمي ستُعنى بهذين البعدين الأساسيين – المبنى والمعنى – اللذَيْن، حسب اعتقادنا، يُمثلان نقاط قوّة الكتاب، متسائلين: كيف يُمكننا اليوم أن نستفيد من نتائج بحث سالمي الخاصة بالسياسات البيئية والأمن البيولوجي من أجل بناء مشاريع محلّية لإدارة الطبيعة هدفها الحفاظ على الثروات النباتية والحيوانية وضمان الأمن الغذائي والبيولوجي؟

إنّ هذا النوع من العمل، الأنثروبولوجي: الاستقصاء الميداني، يستحقّ بالفعل أن نتوقّف عنده لأنّه يُساعدنا انطلاقًا من فهم مخصوص للطبيعة الاجتماعية للنشاط العلمي، على ضبط بوصلة ممارسة البحث العلمي السوسيولوجي في زمن "المخاطر الكبرى" وأنماط العيش الجديدة. والملاحظ أنّ عمل سالمي لم يقتصر على الملاحظة بالمشاركة والتحقيق الشفوي؛ إنّما أيضًا أدّت المعلومة غير المباشرة عبر الاستقصاء النصّي دورًا مهمًّا في بناء أنموذجه التحليلي وتحديد الوقائع والتوصيف الدقيق لمشاريع إدارة "الفانواز".

إنّ المباشرة بخوض التحقيق الميداني ليست دائمًا أمرًا بديهيًّا. فليس من اليسير أبدًا على عادل سالمي، ابن تونس الذي فرّ، في تسعينيات القرن الماضي، من واقع سياسي ومعرفي مُتشابك ومُشتبك، خوض تجربة التحقيق المباشر لدى مجموعة سكّانية غريبة عنه. لكن بالرغم من المسافة الثقافية الفاصلة بينه وبين "منطقة الفانواز" وفاعليها وأشيائها – فأصوله التونسية ولكْنته الباريسية جعلت من ردود فعل المبحوثين تُراوح بين الرفض والريبة – فإنّ بعض المقاطع الخام التي استشهد بها من مقولهم تُطلعنا جيّدًا على اللحظات الخصبة التي دارت ضمنها المُقابلات. وتُبرهن الحوارات الطويلة، التي دارت بين الأجنبي ومضيفه، على أنّ الباحث توصّل إلى إقناع مُختلف الفاعلين (علماء الطبيعة وإداريين وسكّان محلّيين ومُستثمرين) بأهمية مشروعه، ونلاحظ كذلك أنّه نجح في لعب دور الوسيط (Médiateur) بين مُختلف الفاعلين. ويتبيّن من نوعية المواد المستقاة والمعطيات التي جمّعها الباحث مراكمته التجربة والخبرة أثناء ممارسته البحث السوسيولوجي في فرنسا، حيث بدأ مسيرته العلمية سنة 1993 طالبًا في الكوليج دو فرانس، ثم عضوًا في وحدة بحث "العلوم والسلطة"، واهتم ضمن فريق بحث بدراسة إيبيستمولوجيا العلوم الاجتماعية ودورها في بناء أجهزة التنمية وإدارة الممارسات الإنسانية والموارد الطبيعية، ليباشر العمل الأكاديمي في كلّ من INRA وehess، ومارس الملاحظة الأنثروبولوجية والبحث في سوسيولوجيا البيئة قبل إنجاز الدكتوراه.

إنّ أحد المداخل الأساسية والممكنة، بالنسبة إلى المهتمّين بمعالجة الأسئلة الجديدة والباحثين عن المعنى الكامن خلف الأنساق التي فرضتها التحوّلات الكُبرى (العولمة والنيو-ليبرالية)، والتي قد تؤسّس لمبادئ مرجعية تؤطّر أعمالهم: التحقيق الميداني المُباشر والبحث الأنثروبولوجي لليومي المحلّي بأفق كوني. فهل نجح عادل سالمي، بتبنّيه مُقاربة إثنوغرافية وتمشّي سوسيو- تاريخي، في تحقيق أهداف بحثه – المُعلنة – بتقديم صورة عن سيرورة بناء أيديولوجيات إدارة الطبيعة؟ وهل توصّل، من خلال تحليل معارف وممارسات مُختلف الفاعلين والمتدخّلين وربطها بتاريخ ظهور الحدائق الوطنية في فرنسا وعلاقتها بتجارب المستعمرات التابعة لها، إلى كشف مساهمة هذه المعارف والتجارب في وض نموذج أوّلي(Prototype) لإدارة التنوّع الجيني النباتي والحيواني وفَهْم التحوّلات التي تشهدها عوالم الأحياء؟

تستوجب الإجابة عن هذه الأسئلة **أوّلًا**: قراءة الكتاب بلغة عادل سالمي (أدواته المفهومية والنموذج التحليلي). فضمن كلّ عمل سوسيولوجي توجد نظرية علمية اجتماعية، تحمل في طياتها فلسفة للتاريخ وللمجتمع، يتوسّطها عالم الاجتماع من أجل العبور من المعنى الكامن إلى المعنى الظاهر انكشافًا لحقيقة ما (بوغام، 2012: 53)، و**ثانيًا**: الإحاطة بتطوّرات الرتب الوجودية التي عرفتها الطبيعة وأشياؤها داخل النظريات السوسيولوجية الحديثة. فمجتمع القرن الحادي والعشرين لن يكون متكوّنًا فقط من أعداد من الإنسان الاقتصادي، كما لم يكن مجتمع القرن العشرين متكوّنًا من أعداد من الإنسان الاجتماعي، بل أصبح للطبيعة وأشياؤها وجودًا داخل الصورة التي يعرضها علم الاجتماع عن المجتمعات الحديثة. و**ثالثًا**: امتلاك فكر نقدي تجاه قواعد البحث العلمي الاجتماعي (الإيبيستمولوجية الدوركهايمية والفيبرية) التي جعلت من الظواهر "أشياء"، ومن "الموضوعية" و"الحياد" معيارين ثابتين لتقييم الممارسة البحثية السوسيولوجية. و**أخيرًا** التمييز بين الإثنوغرافيا الأداتية (Instrumentale): تلك التي تترصّد المعطيات وتدفع بالأساس نحو التوصّل إلى اكتشاف أنّ الأشياء تختلف عمّا نتصوّر أنّها عليه؛ وتحيل على الأعمال الكولونيالية التي اعتمدتها المؤسّسة الاستعمارية لإنفاذ مخطّطاتها الاستغلالية. والإثنوغرافيا التفكّرية (Reflexive)، التي تقترح على الباحث في الأنثروبولوجيا، إلى جانب تقديم معطيات حول ما يحدث داخل الواقع المبحوث، تقديم فرصة للتفكير في الصفات الجوهرية لثقافة ما؛ تلك التي يتمسّك أصحابها بفكرة أنها غير قابلة للشكّ، من أجل التوصّل إلى فهمها بشكل أكثر عمقًا (Latour, 1979: 18-20). فهذه المُقاربة تتميّز بطرح الأسئلة وتجاوز المسائل الأيديولوجية ومحاولة الفهم. فـ"الهدف الأساسي من الدراسة الإثنوغرافية تتعلّق بقدرتنا الذاتية على التموقع التفهّمي بالنسبة إلى الآخرين. وإحدى مظاهر هذا يكمن في قدرتنا الذاتية على الانخراط في التفكير العملي، وعلى التأويل واختيار الجوهري والتنسيب والتصنيف... إلخ" (Geertz, 1973: 14)

**ثانيًا: قراءة في المضامين**

قسّم عادل سالمي كتابه إلى ستّة أجزاء: ترسم **الثلاثة الأولى** مختلف مراحل تأسيس "الحديقة الوطنية الفانواز" التي مثّلت موضوعًا سجاليًّا في فرنسا طوال ثلاثين سنة. ثمّ من خلال التوصيف الدقيق للنقاشات والمواجهات بين زاويتَي نظر أيديولوجيا حماية الطبيعة وفضاءاتها – الأولى علمية والثانية ثقافية – يُبيّن الباحث تطوّر مفهوم الفضاء الطبيعي المحمي وتحوّل هويات فاعليه وتغيّر تمثّلاتهم وتفاعلاتهم. وتكشف المقاطع الطويلة من المقابلات التي أجراها الباحث مع مبحوثيه، بصورة جليّة، تعدّد رهانات الفاعلين في مسألة "إدارة الطبيعة وحمايتها"، وصعوبة التوافق حول معايير تقييم أشكال إدارة "الفضاء الطبيعي". فتضارب المصالح واختلاف ممارسات السكّان المحلّيين من **جهة** والمستعملين الخارجيين للحديقة من جهة **أخرى**، وتواتر المشاريع وتعدّد عمليات رسم الحدود الجغرافية للمحمية من جهة **ثالثة**، يجعل إدارة "الفضاء الطبيعي" يختلف بشكل كبير عن إدارة أي فضاء آخر (شركة أو مؤسّسة أو حزب أو جمعية) لأنّ واقع "الفضاء الطبيعي"، المادي والسوسيولوجي، يفرض اتباع رؤية أوسع تجمع وجهات نظر مُتباينة قد لا تتقاطع إلاّ عند نقطة اعتبار "الفضاء الطبيعي" رأسمال وطني يجب التوصّل إلى إيجاد مشروع يوازن بين استثماره وحمايته، يعني البحث عن التوافق بين رهان الحفاظ على برّية "الفضاء الطبيعي" بحمايته من تدخّلات المُستثمرين، ورهان التنمية المحلية المستدامة ببعث مشاريع الرياضة الشتوية التي تتطلّب تهيئة وتصميمًا مخصوصين للفضاء.

في الجزأين **الرابع** و**الخامس**، ينتقل الكاتب إلى تحليل مختلف المعارف التي تكوّنت حول الفضاء الطبيعي: معارف أنصار الطبيعة، ومعارف المُتصرّفين (الإداريين)، ومعارف نشطاء الرياضة الشتوية (Alpénistes) ومعارف الرعاة الرحّل (Alpagistes). ويبدو أنّ سالمي بذل الكثير من الجهد والوقت ليلغي الحواجز والفواصل التي تقف غالبًا أمام الباحث الأنثروبولوجي ليتوصّل إلى بناء نتائجه البحثية مُستدلًّا بما عاينه عن قرب من تفاعلات وروابط بين مختلف الفاعلين وممارساتهم ومعارفهم وعاداتهم ومنتجاتهم، وكيف أنّ تلك المعارف، رغم تكاملها أحيانًا وتقاطعها أحيانًا أخرى، فإنّها تُستعمل من طرف أصحابها في معارك تأسيس شرعيات لفرض نمط استغلال وتهيئة الفضاء الطبيعي. لذا فإنّ إدارة الطبيعة وبناء روابط جديدة مع أشيائها، حسب رأي سالمي، يمرّ عبر معرفة الميدان أي إحصاء العناصر التي تتكوّن منها البنية المجتمعية للفضاء الطبيعي بما في ذلك التمثّلات والثقافات والذهنيات، وامتلاك المعلومة والاقتراب من تفاصيل الممارسات اليومية، وبخاصة التوصّل إلى إيجاد نقاط تقاطع بين رهانات مختلف الفاعلين.

والملاحظ أنّ عادل سالمي استعمل في تحليل المعطيات الإثنوغرافية مفهوم **ا**لترجمة الذي أخذه من أعمال ميشال كالون (Callon, 1986) للتعبير عن أهمية الدور الذي يلعبه الوسطاء (Médiateurs) لترجمة الأهداف وتوزيع الأدوار - والترجمة بهذا المعنى وضعية علائقية تعني الوساطة - أي تُمثـّل لغة جماعة ما في التعبير عن الأهداف والرهانات، وتربط الصلات بين الفاعلين (Acteurs) والفعلة (Actants) فتحوّلهم إلى فَوَاعِل داخل شبكات تتحرّك حسب ديناميّات تفرضها السياقات المحلية والكونية.

في الجزء **الأخير** يعود الكاتب إلى مواجهة المَنْطِقَين السابقين: منطق ترشيد الإدارة بهدف الحماية، ومنطق ضرورة التهيئة بهدف الاستثمار. ليختم بالتشديد على عُسر التوصّل إلى مشروع نهائي، بسبب تباين المعارف وتضاربها وإصرار الفاعلين كل من جهته على فرض معارفهم لبناء شرعيات للهيمنة على سُبل إدارة الفضاء الطبيعي واستغلال خيراته.

**الخاتمة** **العامة،** عَنونها الكاتب "تشبيك قصري للفاعلين ومشروع حديقة غير مُكتمل"، أكّد فيها المصاعب التي تحول دون اكتمال مشاريع "إدارة" الطبيعة. حيث تميّزت كلّ مرحلة بروابط مخصوصة (تحالفات، منافسة، تصادم) يتجوّل بين ثناياها السياسي والاجتماعي والثقافي والقانوني. ويأخذ الفضاء الطبيعي "الفانواز" وأشياؤه من هذه الروابط معناه، حيث يقوم الفاعلون بتعريف هويات الأشياء ورسم حدود الفضاء وتوزيع الأدوار مُترجمين، إلى هذا الحدّ أو ذاك، معارفهم وتمثّلاتهم إلى واقع يُبنى حسب طبيعة المصالح والرهانات التي تفرضها الروابط الجديدة. هكذا بُنيت حول الفضاء الطبيعي شبكات محلية تتمفصل بين روابطها نخب المجتمع السياسي والمجتمع المدني. ويتأكّد، حسب المؤلّف، أنّ منطق التشبيك بات يحكم طبيعة العلاقات وروابطها، فقد تحوّلت الشبكات، كما يصفها، إلى أرحام تلد "جماعات" متشابكة الهويّات تنتظم بداخلها السياسة والاقتصاد والمعرفة، وتؤدي العناصر-الفاعلة من غير البشر أدوارًا مهمّة خاصة حين تتحوّل من مجرّد "وسائط" بكماء إلى "وسطاء" تتكلّم وتُترجم.

إذًا**،** يسرد الكاتب تجربة إثنوغرافية ميدانُها فضاءٌ طبيعي يقع على المنطقة الحدودية بين فرنسا وإيطاليا: "حديقة الفانواز الوطنية"، حيث يشتغل فاعلون متعدّدة هوياتهم: باحثون وإداريون ومجتمع محلّي مُتعدّد الأنشطة والمعارف. هدفه التوصّل إلى بناء مشروع توافقي لإدارة الطبيعة (حديقة الفانواز). لذا لم يكتفِ عادل سالمي بتوصيف الفضاء ورسم حدوده وإحصاء عناصره الفاعلة (الأشياء والبشر)، بل قدّم دراسة إثنولوجية لحديقة "الـفانواز" تميّزت بعُمق التحليل لتاريخ الحديقة ولمراحل مأسستها، مُقترحًا دراسة مُعمّقة لمعارف الفاعلين وأنشطتهم التي تعكس رؤيتهم للعالم وعلاقتهم بأشياء الطبيعة. ويُحيلنا هذا التمشّي البراغماتي[[4]](#footnote-4) - الذي تمحور حول استخدام مقاربة تجعل الباحث أقرب ما يكون من الواقع السلوكي للفاعلين - على ما يُطلَقُ عليه إثنوغرافيًا العلم وهو يشتغل .(La Science en action)

**ثالثًا: أدوات البحث ولُغته**

يضعنا عادل سالمي أمام اختصاص معرفي يثير أسئلة إيبيستمولوجية وأكاديمية مزدوجة، يتمثّل الشق **الأوّل** منها بكون علم اجتماع العلوم، بنظرياته ومنهجياته وتقنياته، اختصاصًا علميًّا جديدًا في مجال السوسيولوجيا، وبخاصة مع بروز تيّار معرفي جديد داخل فرع علم اجتماع المعرفة العلمية ابتداءً من سبعينيات القرن الماضي، عُرف بـ"البرنامج القوي"، عمل أصحابه على تقويض أسس سوسيولوجيا المعرفة العلمية الكلاسيكية، وعلى زعزعة أركان النظريات المتعلقة بالعلوم الخالصة وإيبيستمولوجيا العلم، ليُقدّموا المعرفة العلمية في هيئة نظام له صفة ودور سوسيو- مهني. وبيّنوا التكيّفات السوسيو- اقتصادية والسياسية والثقافية وتأثيرها في الممارسة المعرفية وفي سياقات اشتغالها ومناهجها ومُخرجاتها[[5]](#footnote-5). أمّا الشقّ **الثاني** فيتمثّل بأنّ "الطبيعة" كموضوع للبحث الإثنولوجي، رغم قدمه، بدأت تأخذ حيّزًا مهمًّا داخل الحقل العلمي السوسيولوجي منذ بداية ثمانينيات القرن الماضي، إذ لوحظ تواتر الدراسات الأنثروبولوجية لعلاقة المجتمع بالطبيعة، وتأسّست شيئًا فشيئًا أنثروبولوجيًّا بيئية تهتمّ بتمثّلات الشعوب وكيفية تأثيرها في البنى وفي العلاقات الاجتماعية وبخاصة في رهانات السياسات البيئية.

بالرغم من أنّ عادل سالمي ينحدر من وسط علمي (علم الاجتماع التونسي) لم ينخرط فاعلوه، إلى حدود بداية الألفية الثانية، في باراديغمات سوسيولوجيا "مجتمع المخاطر" وإشكاليات "إدارة البيئة"، ولم يتخلّص مُؤسّسوه من مقاربات السوسيولوجيا ما بعد الكولونيالية، غير أنّ موضوع بحثه يأتي ضمن مشاريع علمية تأسست، منذ أواسط القرن العشرين، حول هذا التوجّه الجديد وأعطت أولوية قصوى للتغيّرات البيئية والمخاطر المُحيطة بالفرد والمُجتمع[[6]](#footnote-6)، مؤكّدة ضرورة عدم الفصل بين الطبيعة والثقافة، وبين المحلّي والكوني.

رغم حرص عادل سالمي على عدم تعويم السؤال الإثنولوجي داخل الدراسة الإثنوغرافية، أي تجنّب الأحكام المُسبقة حول العامل "الثقافي" ومواجهته بوصفه موردًا يستعمله الفاعلون أثناء ممارسة أنشطتهم اليومية للفهم والتأويل والبرهنة والمحاججة، فإنّ الثقافي كما استعمله عادل سالمي ليس أنموذجًا لتحليل سلوكات الفاعلين وأنشطتهم التي عاينها داخل حديقة "الـفانواز" وحولها، وإنّما هو التساوق الذي عاينه بين سلوكات الفاعلين والمعارف التي توارثوها أو اكتسبوها من خلال ممارسة أنشطتهم داخل الحديقة. ومع ذلك يظهر تأثير البعد الثقافي في طريقة إدارة "الـفانواز" في تعدّد طرائق تعريف الحديقة واختلاف أشكال إدارتها وتباين المعارف التي تُدار بها، غير أنّ "الثقافي" ليس سوى أحد عوامل اختلال التوازن في العلاقة بين الإنسان والطبيعة، وبخاصة أنّ مجتمعات النصف الثاني من القرن العشرين باتت تُواجه مخاطر مُعَوْلـَمَة (مخاطر البيئة ومخاطر الاقتصاد ومخاطر الإرهاب) لا تُدار في سياقات قومية أو محلية، لأنّها مخاطر سائلة لا يُمكن مسكها أو التحكّم فيها ولا إخضاعها إلى "ثقافة" المجتمع المحلّي. ورغم أنّ أولريش بيك ربط بين المخاطر وثقافة المجتمع الناشئة فيه وفق ما أطلق عليه "الإدراك الثقافي للمخاطرة" فإنّه يؤكّد ضرورة فهمها ومُعالجتها داخل سياقاتها الكونية: «نحن سنصبح أعضاء في "جماعة أخطار عالمية". فالأخطار لم تعد شأناً داخلياً لدولة ما، كما أنّ أي دولة لا يُمكنها أن تُحارب الأخطار وحدها تماماً" (بيك، 2013: 30).

وهكذا يُمكن تلخيص زاوية النظر المنهجية والنظرية للكتاب في نقطتين: النقطة **الأولى** دراسة الممارسات الإنسانية وهي بصدد الاشتغال، أي عبر التحقيق الميداني المُباشر (بيك، 2013: 3)، أمّا **الثانية** في تتبّع آثار الفاعلين (علماء وإداريين وسياسيين وقانونيين ومجتمع محلّي...) التي تُخلّفها السجالات التي يُثيرونها حول مشاريع إدارة الفضاء. هدف الباحث الأنثربولوجي كشف استراتيجيات الفاعلين بفتح العلب السوداء (BoitesNoires)، التي يُراكمون بداخلها مواردهم المادية والرمزية، ويعتمدون عليها لخوض معارك التموقعات والمصالح عبر بناء شبكات. لذا يقترح سالمي الحفر داخل هذه العلب لاستكشاف الاجتماعي، الذي يتدفّق بين الروابط التي تستمدّ قوّتها من قُدرة المُتكلّمين على ترجمة الأدوار والمصالح أي الحفاظ على استقرار الشبكة وانتشارها (بيك، 2013: 463).

اعتمد عادل سالمي، في دراسته للفضاء الطبيعي، تمشيًّا أراد من خلاله إثبات إمكان التوصّل إلى نتائج موضوعية باستعمال مُقاربة يتماس فيها الذاتي بالموضوعي (الموضوعية العلمية وأنثروبولوجيا الممارسات: المعارف والتمثلات والثقافات والأنشطة...) (Selmi, 2006: 3). ولئن كانت الموضوعية أهم مبادئ ممارسة البحث العلمي السوسيولوجي فقد حافظ سالمي على نظر نقدي تجاهها، وبدا واعيًا بحدود الموضوعية التي لا يمكن تفاديها مع التمييز بين الحياد والاعتدال. فليس بمستطاع عادل سالمي، الذي يضطلع بمهمة معرفية داخل INRA، حين دراسته لوقائع مثل تدخّل الإنسان في أشكال إدارة الطبيعة أو قيام العلماء بإدخال تعديلات على جينات النبات والحيوان أن يبقى على حياد تام، بل لم يمنعه ذلك من القيام بدوره في تحليل الدلالة الأيديولوجية والسياسية لمشاريع "الحدائق الوطنية الفرنسية" من خلال دراسة مقارنة للنماذج -المثال في المستعمرات الفرنسية، وتعيين الأشكال التاريخية التي اتخذتها ممارسات "حماية الطبيعة" ومسارات بناء تقاليد "المحميّات" في فرنسا. ولعلّه وجد نفسه مُطالـَبًا، إلى هذا الحدّ أو ذاك، بعدم تجاهل أحكام القيمة التي يحملها المُجتمع (مجتمعه الأصلي تونسي/ ومجتمعه المُضيّف فرنسي) عفويًّا. في هذا الصدد يرى ريمون آرون أن ليس بمستطاع عالم الاجتماع، حتى حين اضطلاعه ببناء موضوع دراسته، التحرّر من الأفكار المسبقة، بالمعنى الذي عناه دوركهايم، ويستنتج آرون من ذلك أنه "علينا من أجل الإفلات من الانحياز بذل جهد ثلاثي من التدقيق الخبري والنظري أو النقدي، وأخيرًا تجاه الإحالات على القيم الضمنية في المجتمع وفي العلم" (Aron, 2005: 64). ولذا فإنّ المؤلّف لم يتّخذ موقفًا مُحايدًا من السياسات البيئية الفرنسية ولم يغفل عن الروح الاستعمارية التي كانت تُحرّكها.

إجمالًا، لم يكتفِ عادل سالمي في ممارسة البحث الأنثروبولوجي بتجميع معطيات تاريخية أو رصد ملاحظات عهد بها إلى مُخبرين، بل مارس البحث الميداني المباشر لدى مجموعة سكّانية مخصوصة داخل فضاء اجتماعي مخصوص. وبدا من خلال عرضه لنتائج بحثه أنّه تكوّنت لديه خبرة وتجربة في ممارسة البحث الأنثروبولوجي توصّل بموجبها إلى تقديم توصيف دقيق للفاعلين ومعارفهم، ويبدو أيضًا أنّ اختياره لجغرافيا ومُجتمع البحث لم يكن اعتباطيًّا بل يعكس موقفا ضمنيًّا من الإثنولوجيا رغم مؤاخذاته على المضمون الأيديولوجي والكولونيالي التي تنطوي عليه.

ويُعدّ مقال عادل سالمي الموسوم بـ "ظهور حقل علمي: الإثنوسوسيولوجيا والسوسيولوجيا في تونس (1881-1970)" (Selmi, 2001: 43-57) نصًّا مرجعيًّا بامتياز؛ فقد جاء ليقدّم قراءة سوسيو-تاريخية للأبحاث الإثنولوجية الاستعمارية للمجتمعات الشمال أفريقية. إنّ سالمي أدرك منذ الوهلة الأولى أنّ تعدّد المعارف وتباينها رغم اختلاف مكوّناتها وعناصرها والانتماء إلى جغرافيا مخصوصة لا يؤكّد أو يُلغي صفة التمدّن على "الشعوب"، ولا يؤثّر في تصنيف "أنماط عيشها"، ولذا هو لم يُظهر سكّان منطقة "الفانواز" وكأنهم مجموعات مُتناثرة داخل الفضاء وحوله ولم يستعمل أنموذجًا مُنمّطًا لتصنيفهم. بل بدت، من خلال التحليل، قناعة سالمي بأنه لا يوجد تفسير ثقافي لظاهرة عدم اكتمال المشاريع وتكرارها، فالمجموعات المُتنافسة حول الطبيعة لا يهمّها سوى الربح (المادي والرمزي) فهو وحده يُحدّد موقفها من هذا المشروع أو ذاك. ولذا فهي ليس لديها سوى رأسمال غير قابل للنقاش وهو "المعرفة". وقد اكتشف سالمي العناصر التي تتحكّم في ميكانيزمات المجموعات المُتناحرة حول إدارة الحديقة، وذلك من خلال دراسته لحركة تشكّل فكرة المحميات والحدائق الوطنية في فرنسا.

**رابعًا: العلاقة التفاعلية بين الكيانات المتنوّعة**

استعمل عادل سالمي، مقاربة إثنوعلمية جاعلا من الطبيعة (حديقة الــفانواز) مادة للبحث الأنثروبولوجي، مُتجاوزًا التصنيفات القديمة: "الأنا"/"الآخر"، "الطبيعة"/"الثقافة" وأيضًا "البشر"/"غير البشر"، مُعتمداً مبدأ التناظر المعمّم[[7]](#footnote-7) لتحليل التفاعلات بين مختلف الكيانات: البشر وأشياء الطبيعة؛ مُتّخذًا في ذلك وجهة ميشال كالون وبرونو لاتور. ومن الواضح أنّ هذه المقاربة إلى جانب تمكين الكاتب من تطويق مُختلف مراحل تأسيس الفضاء الطبيعي "حديقة الفانواز"، وفّرت له الأدوات المنهجية للتحديد الدقيق لهويّات الفاعلين، ولبناء أنموذج تحليلي من أجل فهم رؤيتهم للعالم من خلال تتبّع آثار تفاعلاتهم البينية، وتأثير معارفهم (المُتباينة) في الممارسات والأنشطة التي تربطهم بالأشياء داخل الفضاء الطبيعي "الفانواز"، وبناء عليه استطاع أن يؤكّد تأثّر هذه الأنشطة بهويات الفاعلين ورهاناتهم (بيئية أو تنموية أو ربحية). إذ عمل الكاتب، منذ الفصل الأوّل، على تأكيد تعدّد المشاريع حول الحديقة وتنافسيتها، وبيّن كيف يحتدّ التنافسٌ أحيانًا بسبب عدم تجانس هويات الفاعلين وتنازعهم حول أسس مشروعية استغلال أشياء الطبيعة وأحقية تحديد أشكال إدارتها. كما استطاع من خلال استخدام مفهوم الشبكة، بالمعنى الذي يعطيه لاتور للتجميعات (Associations) (Latour, 2006: 41-62)، رسم صورة لمختلف المجموعات وترابطها، واضعا قائمة العناصر، من البشر (Acteurs) وغير البشر (Actants)، دائمة الحضور في السجالات المتعلّقة بمشاريع إدارة حديقة "الفانواز"، ليخلص إلى أنّ العناصر المشكّلة للشبكات داخل الفضاء الطبيعي هي عبارة عن سلاسل من الجماعات المُتنوّعة ومن الكيانات المتداخلة، المنقسمة في هويتها ومشاعرها وتمثلاتها ومحرّكاتها.

منهجيًّا، سمح البحث الميداني واعتماد الملاحظة بالمشاركة للباحث، تتبّع أثر الحركات غير المنتظرة من مرحلة إلى أخرى واكتشاف الاجتماعي بوصفه حركة مميزة من التجميع وإعادة التركيب. وقد بيّن، مُستعملًا كتابة سوسيولوجية تتميّز بالوضوح والحيوية، كيف تنقطع هذه الحركات كلّما تغيّرت السياقات، وكيف تبقى المشاريع مُعلّقة فيظهر الاجتماعي مخزونٍ يتدفّق عبر الروابط بين الأشياء والأفراد، الذين وقع تجميعهم داخل وحول الفضاء، ويُطلَق عليهم أحيانًا اسم "فاعلين اجتماعيين" أو "أفراد" أو "وكلاء"، ثمّ حين تُستأنف الحركة، أي يتغيّر السياق ويبدأ مشروع آخر في البروز، ينطلق الباحث من جديد في عملية تَتَبُّعِ أثر الحركات ووُجهتها، فيرصد السجالات ويُحصي سلاسل الفاعلين والمُتدخّلين الجُدد ويقوم بتحليل تفاعلاتهم من خلال رسم شبكاتهم وكشف دينامياتها، في انتظار أن يكتمل "المشروع" ويقع التوصّل إلى "المشترك" أو ما يطلق عليه لاتور "الجماعي" (Latour, 2006: 41-62) (Collectif) وهو المشروع البديل الذي يجمّع مُختلف الفاعلين والمُتدخّلين حول طريقة إدارة عالم الأحياء.

وهكذا، استعمل الكاتب تفكيرًا مُتعدّد الاختصاصات المعرفية لدراسة العلاقة بين الإنسان والطبيعة، مُتّخذًا حديقة "الفانواز" مُختبَرًا لمُعاينته الميدانية، فيُتابع أقوال المُتدّخلين في هذا "المُختبر" وأفعالهم وتفاصيل أنشطتهم، على طريقة عالم الإناسة (الأنثروبولوجي) الذي يقوم بدراسة قبيلة بدائية لا يعرف عاداتها وتقاليدها، مُتأثّرًا بأعمال مارسال موس ومستفيدًا ممّا رسّخته أطروحة جاك بيرك في العمل الأنثروبولوجي في المغرب العربي، وما تعلّمه من ميشال فوكو بخاصة في فنّ استعمال ما بين التخصّصات (الفلسفة والتاريخ الاجتماعي وسوسيولوجيا البيئة والأنثروبولوجيا). وتجلّى ذلك في عمله الميداني المليء بالتفاصيل والتدقيقات، وفي الأحاديث الطويلة مع المبحوثين واكتشافه أنّ حديقة "الفانواز" ليست سوى عقدة في شبكة أوسع كثيرًا، وأنّ عُقد هذه الشبكة تتكوّن من مكاتب وإدارات وقوانين وجامعات ومجتمع محلّي، أي سلسلة من "الفاعلين" و"الأشياء" و"المعارف" و"المواقف" و"القوانين" لها علاقة إلى هذا الحدّ أو ذاك بحديقة "الفانواز" وأنماط إدارتها وأشكال تسيير الأنشطة التي تدور بداخلها. ويتوقّف انتشار روابط كلّ شبكة وتواصلها على مدى قدرة الفاعلين على تبادل معارفهم العلمية أو تلك التي اكتسبوها بالتجربة أو بالوراثة مع عناصر الشبكات الأخرى.

وبدا بوضوح، كيف استفاد المؤلّف من مشاريع معرفية مُهمّة مكّنته في نفس الوقت من التحرّر من قيود المدرسة الكلاسيكية في السوسيولوجيا وريثة أوغست كونت وإيميل دوركهايم وماكس فيبر، التي تدرس الظواهر الاجتماعية بوصفها "أشياء" خارجية لها وجود مستقلّ على الأفراد، ولها عليهم قوّة الإلزام والإكراه والقهر، وكذلك استفاد من مشروع دافيد بلور الذي حرّر المعرفة العلمية من المدرسة المرتونية،(R. K. Merton) التي تدرس العلوم بوصفها مؤسّسة كالأسرة والمدرسة والدولة، وهي بذلك تكرّس سيطرة النظام الاجتماعي على الفاعلين. إذ لم نلاحظ أنّ سالمي استعمل "تفسيرًا اجتماعيًّا" لظاهرة تعدّد مشاريع إدارة حديقة "الفانواز" ولم يبحث داخل "النظام الاجتماعي" عن أسباب عدم اكتمالها، ولكنه بدأ بدراسة البنى المؤسّساتية والتشريعات المعمول بها محلّيًّا (في فرنسا) لتنظيم العلاقة مع المحيط الطبيعي وحمايته من تدخّل البشر، منتبها منذ البداية إلى وجود طرائق متعدّدة للاستحواذ على تعريف وتحديد مفهوم "المحمية" والإمساك بمعناه. ومبيّنًا كيف ينتقل معنى "المحمية" من الشبكة الأقل اتساعًا (العلماء والباحثون) إلى الشبكات الأكثر طولًا (الإداريون والسياسيون ورجال القانون وأنصار الطبيعة والرياضيون). وهكذا نفهم كيف انطلق من المحلّي ليصل إلى الكوني، ومن طرح الأسئلة الصغرى ذات العلاقة بإدارة حديقة "الفانواز" وطبيعة المعارف والممارسات التي يتبادلها مختلف الفاعلين المحلّيين، إلى إثارة الأسئلة الكُبرى حول موقع الطبيعة في تحديد مستقبل الإنسانية، وحول العلاقة التي يُفترض أن تسود بين الفضاءات التي يتحكّم فيها البشر، والفضاءات التي يجب أن تبقى خارج سلطتهم والبحث في أشكال حمايتها، بإيجاد توافقات بين معارف الفاعلين وأنشطتهم، مع الإقرار بتباين الأهداف وتغيّر الرهانات، وتعدّد المعارف والممارسات. ويبدو من خلال توصيف المؤلّف للفضاء الطبيعي وأشكال إدارته واختلاف رهانات الفاعلين أنّ الميكرو/المحلّي والماكرو/الكوني في العالم الاجتماعي يحتلاّن نفس المستوى المسطّح، فلا وجود لسياقات مخصوصة، فهو يقترح رؤية مسطّحة للعالم الاجتماعي، تكون فيها جميع السياقات في نفس المستوى سواء أكانت محلّية أو كونية، وسواء انتمتْ إلى الماضي أو الحاضر أو المستقبل. مُبيّنًا أنّ العالم أصبح شبكة كبيرة عُقدها شبكات تتمايز بقوّة روابطها ووفرة مواردها وقُدرة فاعليها على ترجمة الرهانات وتحويلها إلى سياسات، فلا وجود لسياقات مخصوصة، فقط صلات (Connexions) تصل عنصرًا "محلّيًا" معيّنًا بعناصر أخرى تتموقع في فضاءات وأزمنة أخرى.

**خاتمة**

لعلّ، الأهمية الرئيسية لهذا الكتاب تتمثّل بالدعوة إلى مساءلة سياسات الحفاظ على البيئة وحماية المحيط و"حوكمة" إدارة الطبيعة. فهو في الحقيقة يسائل الفعل النضالي لعلم الاجتماع، داخل سياقات العولمة والنيو-ليرالية، ويحفر بآلية الأنثروبولوجيا في المشاكل البيئية ويُثير أسئلة تتعلّق بمشاركة المجتمعات المحلية في رسم استراتيجيات حماية الطبيعة على النطاق الكوني. فمن خلال رسم المراحل الكبرى للتأسيس غير المكتمل لحديقة "الفانواز"، وتطوّره التاريخي، واشتغال المؤسّسة القائمة على تسييره والتشريعات التي وقع استدعاؤها لإدارته، وتحليل مختلف رؤى ومعارف الفاعلين الاجتماعيين، يضعنا الكاتب أمام واقع ملموس قام ببنائه الفاعلون المحلّيون عبر ممارساتهم وتفاعلاتهم وعلاقاتهم الإدراكية والرمزية مع الأشياء الطبيعية (نباتات، وحيوانات، ومساكن طبيعية ومساحات خضراء...)، وروابطهم البينية في خصوص هذه الأشياء.

ويبدو أنّ استعمال المقاربة الإثنوغرافية لدراسة فضاء طبيعي، والتركيز على تأثير التراث الأيديولوجي والفكري للمحميات الطبيعية، الذي نشأ مع المؤسّسة الاستعمارية، على سلوك الفاعلين ومواقفهم من الطبيعة وأشكال إدارتها، وعلى أشكال بناء المعارف الإدراكية والرمزية المُتعلّقة بأشياء الطبيعة، وطرائق جولانها، تمثّل نقاط القوّة في الكتاب الذي يستمدّ منها أهميته، وبخاصة أنّ علم الاجتماع والأنثروبولوجيا يشهدان تحوّلات كبرى في المناهج والموضوعات فرضتها النقاشات حول المخاطر البيئية التي تُهدّد مُستقبل الإنسان وأنماط عيشه.

وإِنْ فصَل ديكارت بين الإنسان والطبيعة، وجعل من هذه الأخيرة عنصرًا خارجيًّا يُمكن للإنسان موضعتها وتشييئها وفهمها، فإنّ التحوّلات المناخية التي صاحبت العولمة والنيو-ليبرالية جعلت من الطبيعة عنصرًا فاعلًا في رسم الخيارات السياسية الكبرى. ولم يعد الانحباس الحراري والتنوّع الجيني وتهجين النبات والحيوان والأعاصير والزلازل والجوائح... وقائع علمية وإنما خيارات سياسية تُحدّد مصير الكون وسكّان الكرة الأرضية. وأصبح من حقّ الشعوب اتخاذ القرارات المناسبة لتحديد طبيعة علاقتهم بالطبيعة وأشياؤها. فالطبيعة لم تعد "المشترك" الذي يجمع البشر وإنّما أصبحت تُقسّم الكون إلى عوالم مُتصارعة ودول تتواجه لتعزيز مواقعها العسكرية والجيو-سياسية. ورغم أنّ التلوّث وانتشار المفاعلات النووية واستخراج غاز الشيست وتهجين الحيوان وتخصيب اليورانيوم... جميعها ظواهر كونية شاملة فإنّ نصيب الشعوب منها يختلف من بلد إلى آخر ولذا فإنّ التفكير فيها موكول إلى فاعلين جُدد: علماء محلّيين ومجتمع مدني وسلسلة من الفعلة من البشر وغير البشر، وليس إلى لوبيات الطاقة (البترول والفحم) وقوى الهيمنة العالمية.

**المراجع**

بيك، أولريش (2013). **مجتمع المخاطر العالمي: بحثاً عن الأمان المفقود**. ترجمة علا عادل وهند إبراهيمو بسنت حسن. القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2013.

سالمي، عادل (1991). "الإنتاج السوسيولوجي في تونس." إشراف الطاهر لبيب، أعضاء اللجنة عبد القادر زغل ودرّة محفوظ (شهادة الكفاءة في البحث، جامعة تونس الأولى كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس قسم علم الاجتماع).

سيرج، بوغام (2012). **ممارسة علم الاجتماع**. ترجمة منير السعيداني. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

غدنز، أنطونيو (2005). **علم الاجتماع (مع مدخلات عربية).** ترجمة فايز الصياغ. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

Aron, Raymond*. Les Sociétés modernes.* Paris: PUF, 2005. (Quadrige-Grands Textes)

Bloor, David (1983). *Socio/logie de la logique ou les limites de l’épistémologie*. Traduction Dominique Ebnöther. Paris: Pandore.

Cadoret, Anne (1985).*Protection de la nature. Histoire et idéologie: De la nature à l’environnement*. Paris: L’Harmattan.

Callon, Michel (1986). «Éléments pour une sociologie de la traduction: La Domestication des coquilles Saint-Jacques dans la Baie de Saint-Brieuc.» *L’Année Sociologique*: no. 36.

Callon, Michel (1986). «Éléments pour une sociologie de la traduction. La domestication des coquilles Saint-Jacques et des marins pêcheurs dans la Baie de Saint-Brieuc.» *L'Année sociologique:* no. 36.

Callon, Michel et Bruno Latour (1982) *La Science telle qu’elle se fait: Anthologie de la sociologie des sciences.* 2ème éd. Paris : La Découverte, 1991.

Descola, Philippe (2005). *Par-delà nature et culture*. Paris: Gallimard.

Esquerre, Arnaud et Jeanne Lazarus (2012). «Le Diplomate de la Terre: Entretien avec Bruno Latour.» *La Vie des idées:*18 septembre, <http://www.laviedesidees.fr/Le-diplomate-de-la-Terre.html>.

Geertz, Clifford (1973). *The Interpretation of Cultures*. New York: Basic Books.

Godelier, Maurice (1984). *L'Idéel et le matériel: Pensée, économies, sociétés*. Paris: Fayard.

Godelier, Maurice (2011). *Sciences sociales et anthropologie*. Paris: CNRS Éditions.

Latour, Bruno (1979). “Go and See, For an Anthropological Study of Working Scientists.» *Society for Social Studies of Science Newsletter*: vol. 4, no. 1, Winter

Latour, Bruno (1991).*Nous n’avons jamais été modernes: Essai d’anthropologie symétrique.* Paris: La Découverte.

Latour, Bruno (2005). *Reassembling the Social: An introduction to Actor-Network Theory*. Oxford: Oxford University Press; trad. [*Changer de société: Refaire de la sociologie*](https://fr.wikipedia.org/wiki/Changer_de_soci%C3%A9t%C3%A9,_refaire_de_la_sociologie)*.* Paris: La Découverte, 2006.

Latour, Bruno (2006). *Changer de société: Refaire de la sociologie.* Paris: La Découverte.

Latour, Bruno (2010). «Le Climat mis au vote.» *Libération:* 20 décembre, <http://www.liberation.fr/terre/2010/12/20/le-climat-mis-au-vote\_701827>.

Latour, Bruno et Steve Woolgar (1988). La Vie de laboratoire: La Production des faits scientifiques. Paris: La Découverte.

Piette, Albert (1996). Ethnographie de l’action: L'observation des détails. Paris: Métailié.

Selmi, Adel (1993). «L’Emergence d’un champ scientifique en Tunisie : le cas des anthropologues et des sociologues (1881-1956).» composition du jury Françoise Héritier (dir. de DEA) et Abdelmalek Sayad. Mention TB (D.E.A. d’ethnologie et d’anthropologie sociale soutenu à l’EHESS – Paris).

Selmi, Adel (2001). «L’émergence d’un champ scientifique: L’ethnosociologie et la sociologie en Tunisie (1881-1970).» *GRADHIVA*: no. 29, pp. 43-57.

Selmi, Adel (2004). «Le Parc National de la Vanoise. Administration de la nature et savoirs liés à la diversité biologique.» (Doctorat d’ethnologie et d’anthropologie sociale, 2004 à l’EHESS – Paris).

Selmi, Adel (2006). *Administrer la nature en Vanoise*. Paris: Editions de la Maison des Sciences de l’Homme et de l’INRA (Collection «Natures sociales»)

Zarachowicz, Weronika (2015). «Bruno Latour, philosophe: “L'écologie, c'est le CO2, mais aussi le capitalisme, la modernité...» *Idées,* 30/11/2015, <http://www.telerama.fr/idees/cop21-bruno-latour-philosophe-l-ecologie-c-est-le-co2-mais-aussi-le-capitalisme-la-modernite,134234.php>.

1. (\*) البريد الإلكتروني: benkraiemaida@gmail.com. [↑](#footnote-ref-1)
2. <https://fr.wikipedia.org/wiki/Bruno\_Latour>. [↑](#footnote-ref-2)
3. الحديقة الوطنية "الفانواز" حديقة فرنسية تابعة لإقليم السافوا (Savoie) من منطقة الألب ([Auvergne-Rhône-Alpes](https://fr.wikipedia.org/wiki/Auvergne-Rh%C3%B4ne-Alpes)). [↑](#footnote-ref-3)
4. ولد هذا التيار في أواسط الثمانينيات من القرن العشرين في فرنسا في سياق هيمنة تيّار السوسيولوجيا النقدية لبيار بورديو والفردانية الميتودولوجية لريموند بودن، وهو تيّارٌ سوسيولوجيٌ جديدٌ اُطلق عليه اسم "السوسيولوجيا البراغمتية". هذه السوسيولوجيا تعتمد التحقيق الأمبيريقي حسب منهجيات العلوم الاجتماعية. وتتغذّى من مدارس مُختلفة: التفاعلية والإثنوميتودولوجيا، والتقليد الفلسفي الأمريكي "البراغماتي". [↑](#footnote-ref-4)
5. "البرنامج القوي": نقطة الانطلاق لهذه المقاربة، صاغها كلّ من باري بارنس (Barry Barnes) ودافيد بلور (David Bloor) في سلسلة من المقالات نشرت خلال الفترة بين 1974 و1982. [↑](#footnote-ref-5)
6. يمكن القول إن الرائد الذي فجّر قضية المخاطر ووضعها على قائمة جدول أعمال العلم الاجتماعي المعاصر هو "إيرليش بك" أستاذ علم الاجتماع الألماني، حيث أصدر كتابًا شهيرًا أثر في أجيال من الباحثين، وهو كتاب **سوسيولوجيا المخاطر** الذي كتب أولاً بالألمانية ثم ترجم من بعد إلى الفرنسية والإنكليزية، وله كتب أخرى في الموضوع يتعمق فيها في بحث مختلف قضايا المخاطر. [↑](#footnote-ref-6)
7. مبدأ التناظر أطلقه دافيد بلور منذ سنة 1976، وهو يدعو الباحث في علم الاجتماع إلى استخدام "أنماط الأسباب نفسها لتفسير المعتقدات الصائبة والمعتقدات الخاطئة على حدّ السواء". ويضيف لاتور وكالون أنّ مبدأ التناظر كما صاغه بلور غير كافٍ لأنه يُنحّي جانبًا الطبيعة ويُحمّل المجتمع وحده كلّ عبئ التفسيرات. ومن هنا الحاجة الأكيدة إلى تعميم التناظر: التناظر المعمّم (Symétrie généralisée). [↑](#footnote-ref-7)